Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زوجته ذاتها التى تتعاطف معها وتدافع عنها . وإذا كانت طبقات السواد التى تتراكم فى وجدان صفية تحيل الحب إلى مقت شديد للذات ورغبة عارمة فى الانتقام للأنوثة من الرجولة المهدرة فإن موقف بقية النساء فى مشايعة قوانين الثأر دون أدنى تردد يعنى أن دونية المرأة فى صعيد مصر، حتى ليصبح مجرد إطلاق اسمها على الرجل معادلا لقتله ، هى المسئولة عن هذا التصلب الملتاث .

من هنا فإن مايراه الشيخ إبراهيم من أن الطريق للتغيير لابد أن يمر بعملية تحديث شاملة فى التربية والثقافة والتعليم للصبية جميعا يشمل كلا من الذكور والإناث ، ولو كانت صفية فتاة مثقفة لعرفت كيف تحافظ على حبها قبل أن يتحول إلى قوة انتقامية مدمرة تلغى حدود الإنسان عندما تحيله إلى حمار كى يتعلم ابنها تحقيره ويتدرب على تصفيته ، فصفية إذن ـ على جمالها ووفائها وإخلاصها ـ تجسيد لهذه التراكمات ، وقد كانت الحلقات أمينة لروح الرواية فى تمثيل هذه الطبيعة المصمتة لشخصية صفية حيث لم تسمح لها بأن تشف عن حبها العارم لغريمها سوى فى هذيان النزع الأخير، عندما أخذت تقول « لو جاء حربى يطلبنى فقولوا له إننى موافقة ، ولا يهمنى المهر » عندئذ يدرك المشاهد بأثر رجعى أن رغبة الانتقام لم تكن للقنصل وحده وإنما لحبها الموءود .

أما الدير فهو مركز الثقل الثانى فى رؤية هذا العالم ، فالرواية تجعله دار السلام ، تتبخر عند عتباته صراعات العالم الخارجى وتناقضاته الحادة ، فرهبانه قد استقالوا من الحياة وآثروا الخلود إلى السكينة العابدة فأصبح المكان واحة مثالية للعزلة ، ومن ثم فإن خيوط المودة التي تمتد إليها من الخارج ، متمثلة فى علبة كعك العيد المهداة من الجيران المسلمين فى مقابل البلح المسكر الذى يهدى إليهم بدورهم ترسم إطارا نموذجيا لصفاء الوحدة الوطنية وتآلف المسلمين والأقباط على أرض مصر، وإذا كان الواقع ينبئنا أن هذا الوضع واستمراره إنما هما من قبيل الأمنيات العسيرة التى تحتاج إلى جهد حقيقى وموصول لتجسيدها ، فإن المراوغة التى تلجأ إليها الرواية وتمضى على إثرها الحلقات تتكشف عن مثالية أخرى ، إذ لا يفكر فى اقتحام هذا الحصن ونهب ذهبه من زمرة المطاريد الخارجين على القانون